وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الموصل
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم التاريخ
محاضرة الدويلات الإسلامية المستقلة
أ. م. د. رنا صلاح طاهر

عنوان المحاضرة

الدولة الخوارزمية وعلاقتها بالخلافة العباسية

نشأت الدولة الخوارزمية في الإقليم المعروف بإقليم خوارزم ، وخوارزم اسم لناحية كبيرة كان أهلها يسمونها (كركانج) وهي ولاية متصلة العمارة متقاربة القرى كثيرة البيوت المفردة ، يحد الإقليم من الغرب والشمال بلاد الترك الغزية ، ومن الجنوب خراسان ، ومن الشرق بلاد ما وراء النهر . يرجع نسب ملوك هذه الدولة الى مملوك تركي اسمه أنوشتكين . وكان اول امره عبداً اشتراه احد امراء السلاجقة . وعمل أنوشتكين في وظيفة الطشت دار او الساقي وهي احدى وظائف البلاط الإسلامي المعروف . كما أسندت اليه وظيفة شحنة خوارزم ، على أساس ان هذه الوظيفة تابعة لوظيفة الطشت دار ، وخدم أنوشتكين في البلاط السلجوقي بكفاءة ، الامر الذي أتاح له التدرج في الوظائف السلجوقية ، فعينه السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان حاكماً على إقليم خوارزم سنة (470 هـ) وظل يشغل هذا المنصب حتى وفاته سنة (490 هـ) .

وكان أنوشتكين حسن الطريقة ، كامل الاوصاف وكان مقدماً مرجوعاً اليه وتوفي أنوشتكين تاركاً من الأولاد والاحفاد تسعة ، كان من ابرزها ابنه محمد الذي احسن تربيته وتعليمه ودربه على أصول الحكم والإدارة .

وفي نفس العام عين السلطان بركياروق اخاه سنجر والياً على خراسان ، فاذن لقطب الدين محمد بان يحكم خوارزم واصبح يلقب بالخوارزمشاه ، واستمر يحكم الإقليم ما يقرب من ثلاثين عاماً لم يخرج فيها عن طاعة السلاجقة وقد امضى من الأعوام الثلاثين ، ستة أعوام في بلاط السلطان سنجر حيث قضى عاماً في خدمة السلطان ، وتوفي قطب الدين محمد سنة (521 هـ) وتولى ابنه اتسز مكانه في حكم الإقليم ، وقد ساد الامن والعدل في عهده .

وكانت العلاقة طيبة بينه وبين السلطان السلجوقي سنجر ، اذ تصادف ان تعرض السلطان سنجر لمؤامرة استهدف فيها المتآمرون قتله اثناء خروجه للصيد ، وعلم اتسز بما يدبر لسيده فتدخل في الامر ونجاه من الموت ، ولرد الجميل له ولاه السلطان سنجر على خوارزم .

وقد اخذ اتسز يفكر في الاستقلال وتدعيم ملكه بعيداً عن سلطان السلاجقة . وفي عام (530 هـ) تمرد اتسز على سيده وهاجم عدة مناطق تابعة للسلاجقة انتزعها من قبضتهم ، وبدأت الاخبار تصل الى سنجر من اتسز نفسه بالامتناع عليه وترك الخدمة له وان هذا الامر قد ظهر في كثير من أصحابه .

وبقي الحال بين السلطان السلجوقي سنجر واتسز بين مد وجزر حتى سنة (538 هـ) ، عندما استطاع اتسز توطيد حكمه في خوارزم واعلانه الاستقلال التام عن الدولة السلجوقية . وصار للخوارزميين بعد هذا التاريخ كيان سياسي مستقل ، ولم يبق امامهم سوى الحصول موافقة واعتراف الخليفة العباسي في بغداد ليكسبوا حكمهم الصفة الشرعية امام رعاياهم ، وتحقيقاً لهذا الهدف بعث اتسز الى الخليفة العباسي المتقي لامر الله رسالة يعلن فيها اخلاصه وولاءه للخلافة العباسية وطلب من الخليفة ان يوليه إقليم خوارزم ، ولم يتردد الخليفة المتقي لامر الله في إجابة طلبه وبعث اليه بالخلع والمنشور مما يدل على اعتراف الخليفة باتسز حاكماً شرعياً على خوارزم .

ودامت الدولة الخوارزمية ما يزيد عن (138 سنة) حكم فيها سبعة سلاطين وتزامن مع اتساع الدولة الخوارزمية وازدياد نفوذها ظهور المغول وبروز دولتهم على يد جنكيز خان الذي نجح في السيطرة على قبائل المغول واحكام

قبضته
عليهم .

وتجاورت الدولتان القويتان ولم يكن هناك مفر من الصدام بينهما . وكان كل منهما ينتظر الفرصة للانقضاض على الاخر ، وبدلاً من ان ينصرف السلطان الى تقوية دولته والقضاء على المغول الذين يهددون دولته او مسالمتهم ، انصرف الى النزاع مع الخليفة العباسي الناصر لدين الله وطمع في ان يكون له الهيمنة على بغداد والخلافة العباسية كما كانت لسلاطين السلاجقة ، فحرك السلطان جيوشه الجرارة تجاه بغداد لكن الامطار الغزيرة والعواصف الشديدة تكفلت بالامر وتصدت له فمات عدد كبير من جند الخوارزميين وهلكت خيولهم واضطر السلطان الى العودة الى بلاده يجر اذيال الخيبة والفشل .

وفي سنة (621 هـ) وصل جلال الدين منكبرتي الحكم ، واستمر على نفس سياسة العداء التي اختطها من سبقوه ، فعزم على قصد بغداد ، لان الخليفة الناصر لم يجبه بإقامة الخطبة فوصل لمدينة تستر وضيق عليها ، وبعد حصار دام شهرين سار فجأة متوجهاً الى بغداد ، عندها اسرع جيش الخلافة لاعداد العدة ، فنصب المجانيق على الاسوار ووزع السلاح على الناس وانفق الخليفة الف الف دينار على تجهيز الجيش وقد حاول جلال الدين ان يعقد حلفاً مع الملك المعظم عيسى صاحب دمشق ، فكتب اليه قائلاً : "تحضر انت ومن عاهدني فتتفق حتى نقصد الخليفة ، فانه كان السبب في هلاك المسلمين ، وفي هلاك ابي وفي مجيء الكفار الى البلاد ، ووجدنا كتبه الى الخطا وتواقيعه لهم بالبلاد والخلع والخيل . ولكن المعظم رفض ذلك فبعث اليه : انا معك على كل احد ، الا على الخليفة فانه امام المسلمين" .

وواصل جلال الدين سيره الى بغداد حتى وصل الى دقوقا ، وحاصرها فصعد الأهالي الى الاسوار ورموه منها ، مما دفعه لتشديد الحصار عليها ، واخضعها عنوة واباحها لجنوده يعيثون فيها فساداً ويقتلون من ظل من أهلها ، وهاجمت سرية خوارزمية مدينة تكريت ولكنها فشلت في تحقيق النجاح ، ورجع جلال الدين دون تحقيق أهدافه .

وهكذا رجع الخوارزمي دون تحقيق أهدافه ، وكان رجوعه في أواخر خلافة الناصر لدين الله سنة (622 هـ) وهي نفس السنة التي توفي فيها الناصر .

أهم حكام الدولة الخوارزمية :

1-أنوشتكين .
2-قطب الدين محمد .
3-علاء الدين اتسز .
4-آل أرسلان .
5-سلطان شاه .
6-علاء الدين تكش .
7-جلال الدين منكبرتي .

للمزيد من المعلومات ينظر المصادر والمراجع التالية :

1-ابن الاثير / الكامل في التاريخ .
2-ابن كثير / البداية والنهاية .
3-رشيد الدين الهمداني / جامع التواريخ .
4-صدر الدين الحسيني / زبدة التواريخ .
5-فؤاد عبد المعطي الصياد / المغول في التاريخ .
6-حافظ حمدي / الدولة الخوارزمية والمغول .
7-نافع العبود / الدولة الخوارزمية .
8-عصام عبد الروؤف / الدول الإسلامية المستقلة في الشرق .